



obeikandi.com

## ٣٥- الوجه الحقيقي للإتحاد السوفيتي

قام الاتحاد السوفيتي، وجاء إلى الوجود سنة ١٩١٧م، وقيامه أصبح في نظر الملايين من البشر نصير المظلومين، وأمل البائسين، وحنة المحرومين، ومطلب الباحثين عن الحرية والمساواة، والود والإخاء، كما أصبح العصا السحرية التي تزيل الفوارق الطبقيّة بين الطبقات المطحونة والثرية، وبين الأجناس المنبوذة والمحبوذة.. فلا فقير ولا غني، ولا أبيض ولا أسود، ولا أصفر ولا أحمر، لقد جاء بمجيئه العالم المثالي الجديد حيث يسود الحب والود والإخاء، وحيث لا حروب ولا صراعات ولا نزاعات، ولا استغلال مطلقا، وحيث الغد وبعد الغد أفضل من الأمس واليوم دائما، فالجميع يعمل من أجل خير الجميع.. فالأرض للجميع، والخير للجميع.. لا رئيس ولا مرعوس..

هكذا كان يبدو، أو هكذا كان يدعى ويظهر عندما قام في أعقاب الانقلاب الماركسي الذي قضى على حرمة الإنسان وعلى أبسط حقوقه، ولكن هل كانت هذه هي صورته الحقيقية؟ إن العكس هو الصحيح.. إنه موطن الحقد والكراهية، موطن الصراع والنزاع، بؤرة الفساد والفجور، مهد المادية والآلية، مرتع العنف والشجع، ميدان لشهوة القوة واستغلال القوة لمنفعة الأغلبية، وتحقير الإنسان واحتقار الإنسانية، والاتحاد السوفيتي مصدر التحكم والعدوان، والجسور والطغيان، واستعباد الإنسان روحا وفكرا وجسدا وعملا، ومقتل العقائد والأديان، ومصراع الأفكار والأبدان، ومحبس الشعوب والملل والنحل..

إنه سوق للرقيق، وهتك الأعراض، والسخرية من حرمان الناس، لم تشهد البشرية مثيلا لها من قبل ومن بعد.. هذا هو الاتحاد السوفيتي الذي قام على دعائم

الكذب والخداع، وسار على درب الجيروت والاضطهاد، والقضاء على حرية الشعوب بالقوة والقهر، وما حدث لأفغانستان مثال حي لذلك..

ليس هذا ادعاء ضد الماركسية، أو عدوانا على الاتحاد السوفيتي، بل هذه هي الحقيقة السائدة فيه، كما تشهد بها أقوال زعماء الشيوعية، وواقعهم العملي، وكما يدل عليها الاتحاد السوفيتي، والأحوال السائدة فيه. بما فعل وارتكب، وما زال يفعل ويرتكب، وما دعا إليه بالخاص، وما زال يدعو إليه بنفس الإلحاح والإصرار.. إن هناك أشياء جوهرية عن الاتحاد السوفيتي - صاحب الثورة الأم كما يقول أحد زعماء الروس - لا تقبل الجدل ولا النقاش، لأنها حقائق ثابتة تعبر عن الأوضاع المتردية في الاتحاد السوفيتي من الفوارق الطبقيّة، والدكتاتورية الماركسية، والتعقيدات الروتينية المتعفنة، وفيما يلي بعض من النماذج والأمثلة لذلك..

### الفوارق:

إن الفوارق بين الناس من الشعوب المختلفة مازالت قائمة، بل هي أوسع بكثير مما كانت عليه قبل الماركسية، واستيلاء البلاشفة على زمام الأمور، فهي ليست مرهونة بجهد الفرد، وبحصاد هذا الجهد الفردي، بل برضاء المسؤولين الماركسيين في الحزب الشيوعي عن هذا الفرد، أو ذاك، وهو الرضاء المؤقت الذي لا بد أن يتغير ويتبدل من وقت لآخر، لأنه لا يبنى على أسس موضوعية للمصلحة العامة، بل على نزعات ورغبات شخصية بحته لا تمت إلى جهد الفرد، وإلى حصاد الجهد الفردي بصله، وهذا هو ما يجري على مستوى السياسة الخارجية للاتحاد السوفيتي، وذلك في الدول التي تحتلها روسيا، أو تدور في فلكها، والتغيرات

التي تحصل فى أفغانستان على المستوى الرفيع يدلنا على ذلك.. ابتداء من "ترهكى" مروراً على أمين و كارمل، ووصولاً إلى نجيب، والبقية تأتي..

حكى أحد الذين درسوا فى الاتحاد السوفيتى، وروى أن مخرجاً مسرحياً هناك، كان قد نال شهرة عظيمة فى مجال الإخراج المسرحى، وكانت صورته تملأ الصحف والمجلات السوفيتية، وفجأة اختفى الرجل بعد أن جرد من جميع مناصبه، وذلك بعد أن تغير الرضاء المؤقت الذى كان يديه له المسؤولون فى الحزب الشيوعى، ولم يقدرُوا له شهرته الواسعة فى جهده الفردى، ولم يتركوا له فرصة حصاد هذا الجهد الفردى، لأن نزعاتهم قد تبدلت، فكان من الضرورى - بناء على ذلك - أن يجرد الرجل الناجح من مناصبه، وأن يختفى من على المسرح، وأن تتم ضده عملية التجريد والإهانة والتحقيق..

إن عملية التجريد والتحقيق والإهانة.. تجريد أى إنسان من مناصبه، وتحقيقه، وإلحاق الإهانة به، فى الاتحاد السوفيتى أمر من الأمور اليومية؛ وهذا ما يجرى فى البلاد الأفغانية التى يحكمها الروس الأنجاس، ومن فى حكمهم من العملاء الأفغان.. والناس، والشعب، والطوائف ليس فى إمكانهم السؤال عن السبب، والاستفسار عنه.. وفى الحقيقة أن السؤال والاستفسار لا يغير من حقيقة الأمر شيئاً، وما الفائدة من السؤال فى مثل هذه الأحوال والظروف التى يعيشها الناس فى الاتحاد السوفيتى، أو فى أفغانستان.. وهل إذا سألنا عن أسباب نزول الأمطار تتوقف الأمطار؟ ومن هنا نرى الناس هنا وهناك غير مهتمين بالاستفسار عن أسباب عمليات التجريد والتحقيق والإهانة التى تجرى وتتم هنا وهناك وفقاً لرغبات المسؤولين فى الحزب الشيوعى..

كنت مدرسا في كلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة كابل، وكنت مكلفا بتدريس الفنون الأدبية (فنون البلاغة الأفغانية مقارنة بفنون البلاغة العربية) في قسم اللغة الأفغانية بجانب تدريس اللغة العربية لطلاب القسم نفسه، وقد تصادف أن قام وفد من طلاب قسم اللغة الأفغانية بإحدى الجامعات بالاتحاد السوفيتي (لا أذكر الجامعة) بزيارة جامعة كابل بالإضافة إلى القيام بزيارة المؤسسات العلمية والأدبية في كل من كندهار ونكدهار وغيرهما من الولايات الأفغانية، وقد وقع الاختيار على أن يحضر هؤلاء الطلاب الزائرون محاضراتي في الفنون الأدبية، وكان سروري بذلك بالغا، نظرا لرغبتى واشتياقي الشديد إلى معرفة شيء عن فوارق الضغط والكبت المطبق على الطلاب في الجامعات السوفيتية، وبخاصة على طلاب الجامعات في الأقاليم الإسلامية.. ذلك الكبت الذي يفرضه أعضاء الحزب الشيوعي فرضا على الطلاب في مراحل تعليمهم المختلفة.. وقد كان صحيحا كل ما كنت سمعته بهذا الشأن.. لقد كان هذا الوفد الطلابي الزائر كالهياكل من صلصال وكأنها أجساد منحوتة بطريقة فنية دقيقة بلا أرواح يحركها جهاز تحكم عن بعد.. كانوا يدخلون إلى قاعة المحاضرات بمجموعة واحدة، لا أحد يلتفت يميناً ولا شمالاً، يجلسون في المقاعد الخلفية في صف مرصوص متلاصق لكي لا يدخل ولا يجلس بينهم طالب أفغانى، مع أنهم كانوا يتمنون ذلك، ولكن رقابة الكبت والضغط كانت شديدة وصارمة، وخصوصا على طلاب الأقاليم الإسلامية في الاتحاد السوفيتي، وإذا كان لابد من التحدث في موضوع ما فإن ذلك كان مسموحا لعدد محدود من الطلاب الروس فقط، لاحظت ذلك أثناء توجيه بعض الأسئلة التقليدية التي توجه عادة إلى طلاب الوفود الزائرة في مثل هذه الحالات.. ولكن ليست هذه هي النقطة اللافتة للنظر.. إن

النقطة اللافتة للنظر عدم توافر الجرأة الكافية لدى الطلاب لأجل الاستفسار العلمى حول موضوع المحاضرة.. ما رأيت أحدا منهم رفع يده ليسألنى عن موضوع لم يفهمه أثناء الشرح، مع أن لسان حالهم كان يستفسر ويسأل عن أشياء كثيرة فى اللغة والأدب، وفى البلاغة والفنون البيانية عامة، ولكن جهاز التحكم عن بعد لم يكن يسمح لهم بالتعبير عن ذلك وتصويره.. فكان الصمت.. وكان السكوت..

### الطبقات:

ادعاء.. لا وجود للطبقات فى المجتمع الماركسى فى الاتحاد السوفيتى، أما عمليا وفى واقع الأمر فإن الحزب الشيوعى نفسه يكون طبقة أرستقراطية، لأعضاء الحزب امتيازات ليست لغيرهم من أفراد الشعب، وداخل الحزب نفسه تفاوت هذه الامتيازات.. فمن هم فى قمة الحزب هم مساكن خاصة، ومحلات خاصة، وأسعار خاصة، ومعاملة خاصة، يحرم على غير الرفاق دخولها لشراء ما يحتاجون إليه من المأكل والمشرب والملبس، بل هؤلاء الذين على قمة الحزب الشيوعى من أعضاء اللجنة المركزية، أو المكتب السياسى، أو غيرهم من أعضاء المخابرات الرئيسيين، والمناصب العليا فى الدولة، هؤلاء لهم شوارع خاصة لا يسمح لغيرهم بالمرور فيها ولا بالتمتع بمناظرها الجذابة..

وقد انتقل هذا النظام الطبقي الشيوعى بخذافيره إلى أفغانستان مع سيطرة الشيوعيين على الحكم فى كابل على إثر التدخل العسكرى السوفيتى المباشر فى أفغانستان، واحتلاله المدن الرئيسية فيها، وبناء على نظام امتيازات الطبقة الخاصة نجد فى المدن الأفغانية أحياء راقية لا يسمح بالسكونة فيها إلا للروس الأنجاس ومن

فى حكمهم من الأفغان فى الحزب الشىوعى الأفغانى، وفى لجنته المركزية، وفى  
المخابرات الأفغانىة (الحداد) هؤلاء المحتلين الروس، ولأعوانهم من الأفغان مساكن  
خاصة، محلات خاصة، وأسعار خاصة لا يسمح لغيرهم بالدخول ولا بالشراء..  
قامت النظرىة الماركسىة على أساس استبداد وكتاتورىة الطبقة العاملة، وكان  
الغرض منه - كما يدعى الماركسيون - حماية الطبقة العاملة من الرأسمالىة  
واستغلالها، ولكن مع مرور الزمن وتطور الحىاة الاجتماعىة والاقتصادىة قامت  
قوانين التأمىن الاجتماعىة ضد أعداء الإنسانىة.. الفقر والجهل والمرض.. وبخاصة  
ضد البطالة والمرض، وشملت معظم بلاد العالم الحر، ولو عاش ماركس إلى اليوم،  
وشاهد كىفىة تطبىق هذه القوانين الاجتماعىة فى العالم الحر، لتراجع عما دعا إلىه  
من الاستبداد والكتاتورىة.. النظرىة الماركسىة إذن لىس لها مكان فى عالم اليوم،  
وىجب أن توضع فوق رفوف أرشىف التاريخ، ولىس هناك أى مبرر لوجودها فى  
عالمنا اليوم..

إن الحزب الشىوعى فى الاتحاد السوفىتى، وفى غيره من بلاد العالم الشىوعى  
ىحكم باسم الطبقة العاملة، أو الكادحة كما ىحلو له ذلك، فهل الحزب الشىوعى  
ىمثل العمال أو ىرعى مصالحهم حقىة؟..

إن حىاة الطبقة العاملة فى الاتحاد السوفىتى أسوأ بكثير من حىاة العمال فى  
كثير من بلاد العالم غير الشىوعى، ومن جهة أخرى فإن الحكم لىس للطبقة العاملة  
فى روسيا الشىوعىة، بل لكتاتورىة الحزب، واستبداده المطلق. وبهذه المناسبة  
أذكر باختصار قصة سىدة إنجلىزىة مشهورة.. هذه السىدة كانت زوجه لعالم  
برىطانى معروف، اعتنق الشىوعىة، فاعتنقتها معه، ثم سافرت إلى الاتحاد  
السوفىتى، وقضت فى موسكو ثلاثة شهور، عادت بعدها إلى لندن، لتطلق

زوجها، وتطلق الشيوعية معه بمجرد وصولها إلى عاصمة بلادها لندن، وذلك بعد أن زالت عن عينيها غشاوة الوهم الشيوعي، واتضح لها الحقيقة ساطعة، فكتبت تقول: كل ما يقوله أو يفعله أى مواطن سوفيتى يكمن وراءه وعى واضح بأن الحزب الشيوعى يراقبه، ويتجسس عليه، ويسجل له. وهذه هى الحقيقة، فكل كلمة يقولها المواطن السوفيتى، أو يكتبها، أو ينشرها يرصدها الحزب الشيوعى بدقة جيدة، وعند اللزوم يقوم بإشهارها، ليكون سلاحا فى وجه من قالها، أو كتبها، أو نشرها، حتى ولو كانت فى مصلحة الحزب الشيوعى..

### الإلحاد:

فى جامعات الاتحاد السوفيتى، ومعاهده العلمية والفنية لابد للطلاب الجديد أن يقضى السنة الأولى فى دراسة مادة الإلحاد، وإنكار الذات الإلهية، ولا يمكن أن يسمح له بالاستمرار فى الدراسة إلا إذا نجح فى امتحان هذه المادة على وجه الخصوص. والغرض من دراسة هذه المادة هو تجويف الإنسان بإخلائه من كل القيم السامية التى تدعو إليها الأديان السماوية لكى يتسنى له أن ينخرط بعد عملية التجويف فى سلك الشيوعية الجوفاء، لأنه مع وجود هذه القيم يصبح من الصعب أن مجرد الإنسان من آدميته وإنسانيته لكى يصير عجلة فى آلة تدور دون أن يكون لها رأى، أو إرادة، أو اتجاه معين بالنسبة لدورانها.. فمن متطلبات وأسس الشيوعية أن يتنازل الإنسان عن حريته، وأن يسلم كيانه لغيره يفعل به ما يشاء، وكيف يشاء، هذا الأمر جزء من العقيدة الشيوعية نفسها، ولذلك فمن كان شيوعيا ثم كفر بالشيوعية لا يستطيع أن يعود إلى ما كان عليه قبل اعتناقها،

بل يظل بقية حياته مختل الكيان والفكر معا ﴿كالذى استهوته الشياطين فى الأرض حيران﴾ متوزع قلبه بين الحق والباطل، وبين الهدى والضلال..

### فقدان الوعى:

كتب الكاتب الفرنسى "اندرية جيد" بعد عودته من الرحلة التى قام بها إلى الاتحاد السوفيتى يقول: "إذا اضطر الإنسان أن يطيع أمرا صدر إليه فهو على الأقل يشعر بأنه ليس حرا، ولكن إذا أعد الإنسان بطريقة أو بأخرى بحيث يطيع حتى قبل أن يصدر إليه الأمر فسوف يفقد وعيه بعبوديته، وهذا أسوأ ما يمكن أن يصيب البشر، ولكن هذا هو حال الأجيال الجديدة التى نشأت فى ظل الاتحاد السوفيتى.. سوف يدهشها لو قال قائل لها: إنها فقدت حرية التفكير- سوف لا تصدقه أبدا، بل ستعارضه بشدة وعناد رغم أن هذه هى الحقيقة، ولكنهم مع الأسف لا يشعرون بها" ..

وفى نفس المعنى تقريبا كتب الكاتب الإيطالى "جنازيرو سيلونى" يقول: "وأنا فى موسكو قضيت يوما بأكمله أحاول أن أشرح لإحدى مديرات دار النشر التابعة للدولة كيف يعيش الكتاب السوفيت فى حالة من التخويف والبليلة الدائمة، وكيف أنه من واجبها كمسئولة كبيرة أن تضع حدا لكل هذا، لم تستطع فهمى على الإطلاق، فمضيت أشرح لها.. قلت فيما قلت: الحرية إمكانية الشك.. إمكانية الخطأ.. إمكانية البحث والتجريب.. إمكانية أن يقول الإنسان: لا.. أحيانا.. لا نعم طول الوقت.. إمكانية.. ولكنها لم تجعلنى أتم كلامى، قالت مقاطعة، وهى تنظر حوالىها فى حذر.. لا.. لا يا سيدى.. إن ما تدعو إليه هذا هو الثورة المضادة" ..

إن الشيوعية ينقصها ركن هام من أركان أى فكر من الأفكار، وهى فى أمس الحاجة إليه.. هذا إذا كنا سنعتبرها فكرا، وليست حصيلة ظروف اجتماعية خاصة زالت بزوال أسبابها، وانتهت بانتهاء عللها ومسبباتها، هذا الركن الهام الذى تفتقر إليه الشيوعية، وأمها الماركسية الداعرة هو احترام الإنسان.. واحترام فكره، وحقه فى التفكير، والتعبير عنه بحرية.. لذلك فإن من الطبيعى فى غياب هذا الاحترام خداع الإنسان والعبث بفكره، والتغريب به، والعدوان عليه، وإبادته جسدا وروحا، فكرا وعقلا، قلبا وقالبا، دون تحفظ أو حساب، ودون وخز من الضمير، أو تأنيب من القلب.. فإذا فقد الإنسان احترام الناس أصبح كل شىء فى نظره سهلا ميسورا، جائزا مقبولا، حسنا مرغوبا، ميرا ميرهنا، دون الحاجة إلى البحث عن الأسباب والدلائل الأخرى..

ومن هنا كانت الدكتاتورية ضرورة، وتخويف الجماهير وإرهابها ضرورة، وتصفية الأجيال الكاملة جسديا ضرورة، والعدوان على الشعوب والدول ضرورة، واحتلال البلاد بالقوة ضرورة، وكنم أنفاس الأحرار الثائرين ضرورة.. ضرورة من أجل ماذا، ولماذا؟ لا أحد يعرف حقيقة هذه الضرورة، ولكن هكذا يقول القادة الروس الأنجاس، وكل ما يقولونه لابد وأن يكون صحيحا وصدقا وعدلا، لأن خطأهم صواب، وكذبهم صدق، وظلمهم عدل، واعتداؤهم إنصاف.. هم أصحاب سوق الرقيق، بيدهم الأمر، كل الأمر، هم أصحاب السلطان والصولجان.. فالقول الذى يخالف ما يقولون سيصيب صاحبه وقتله الأذى والعذاب مع العقاب والنكال، لا أحد يستطيع أن يدرك عالمهم الخاص الذى يعيشه من يتعاطى الأفيون، والمواطن السوفيتى قد تعاطى أفيون الشعوب، وهو الشيوعية، كما قدموها له، فالشيوعية تلهبه وتسعده وتشقيه، وتعجزه عن

الحركة والتفكير فى الاتجاه الصحيح، ولكن مع هذا لا غنى له عنها، بعد أن جوعوه وجرعوه بجرعاتها القاتلة، وتم له إخلاؤه من كل القيم والمبادئ والأخلاق، فأصبح أسير نشرة غربية مجهولة مهلكة تسير به إلى حيث يريدون، وإلى حيث يرغبون، هو لا يدرى ولا يملك أن يدرى إلى أين يسير، وأين يدور.. مسكين هذا المواطن السوفيتى الذى يعيش فى وهم الشيوعية، ويموت من رعبها، ورعب سياتها المتهبة.. وهو مسلوب الفكر والإرادة، مكثوف اليدين بمجال الشيوعية العنكبوتية الماكرة، فاقد الوعى والإدراك..

كتب "اندرية جيد" يقول: "أشك فى أنه فى أى بلد من بلاد العالم، وحتى فى ألمانيا الهتلرية يمكن للفكر أن يقيد، وأن يصبح ذليلاً.. خائفاً.. جباناً.. خانعاً كما هو الآن فى الاتحاد السوفيتى". إن الفكر الإنسانى فى الاتحاد السوفيتى مقيد بالسلاسل، مخنوق الأنفاس، مخلوع الجناح، مرعوب متردد، خائف حتى من ظل نفسه.. خائف من أهله وأقاربه المقربين..

والعجب فى الأمر أن عادة فقدان الوعى، وتصفية الأجيال، والتخوف من الظل والوهم والخيال، والعدوان على الأمنين، وشل حركة التفكير، وإخلاء الفرد من كل القيم والأخلاق، قد جاءت إلى أفغانستان مع من جاءوا إلى سدة الحكم فى كابل من الشيوعيين الأفغان والمحتلين الروس الأنجاس، حكى لى أحد الإخوة الأصدقاء وكان أستاذاً بجامعة كابل، أنه جاءت رسالة من أحد أصدقائه فى أحد البلاد العربية، وكان زميله أثناء الدراسة فى إحدى الجامعات المصرية، فوضعتة المخابرات الأفغانية (الخاد) تحت المراقبة اليومية بسبب هذه الرسالة التى كانت باللغة العربية، وفرضت عليه أن يثبت وجوده فى كابل بالحضور يومياً إلى إدارة المخابرات كل صباح ومساءً، بالإضافة إلى الرقابة التى فرضت عليه أثناء وجوده

فى الجامعة، وعلى أولاده فى المدارس، ومنعوا جميع من الزيارات واللقاءات العائلية إلى أن يسر الله له الهجرة إلى بشاور، والالتحاق بركب الجهاد هناك بعد أن ذاق الأمرين بسبب هذه الرسالة التى وصلتته من صديق عربى قديم له من أيام الدراسة الجامعية، وقيدته، وقيدت حرته فى التنقل داخل مدينة كابل، وفى العمل داخل الجامعة، وفى التحدث إلى الإخوة الأصدقاء، وفى اللقاء مع غيره من أهل عشيرته وقبيلته، وأهل بلده.. وأصبح منزله سجنًا يراقب بشدة.. كل من يتجه إليه، أو يخرج منه، وأصبح بيته تحت الحصار الشديد خلال هذه الفترة، وكانت إجراءات التفتيش والمراقبة تزداد شدة وتعسفا، كلما شوهد شخص غريب يدخل منزله الذى تم وضعه تحت حراسات مشددة، ويتعرض الشخص الغريب لمضايقات من رجال المخابرات الأفغانية (الخاد) الذين يقومون بتسجيل تحركات كل من يزوره قريبا كان أو غريبا..

### أسوار من الوهم:

من أسوار الوهم العجيبة، ومن جدران الخوف أو التخوف الغربية التى يقيمونها فى الاتحاد السوفيتى حول سوق الرقيق حجب المعلومات وإخفاؤها عن الناس، وعلى وجه الخصوص المعلومات والأخبار الخاصة بحرية الفكر، والتقدم العلمى فى البلاد الأخرى فى العالم الحر، وبالأخص الأخبار والمعلومات الخاصة بالعالم الإسلامى المحيطة بروسيا الشيوعية.. دخل أحد السياح الأجانب مدرسة فى مدينة موسكو، فوجد التلاميذ ضعافا يتكلمون الإنجليزية والألمانية بركاكة غير مقبولة، ولما سألهم عن السبب أجاب أحد التلاميذ.. منذ عدة سنوات كانت هناك بعض الأشياء التى كان يمكن تعلمها من أمريكا وألمانيا، فكانت الحاجة تدعو إلى

إجادة لغتي البلدين، أما الآن فنحن لسنا بحاجة إلى تعلم أى شىء من الأجناب، لذلك فما الداعى لأن نتعلم لغاتهم؟ إنها لإجابة غريبة كما نراها إلا أنها ضرورة يقوم المسئولون فى المدارس، وفى غير المدارس بتلقيها للتلاميذ للاستفادة منها فى مثل هذه الحالات من الضعف العلمى واللغوى..

يكتب زائر أجنبى آخر عن تجربة فى أحد معاهد العلم فى الاتحاد السوفيتى يقول: "... الأسئلة التى وجهوها إلى كانت أغرب من الخيال.. قال أحدهم وهو عامل فى العشرين من عمره متعلم ومثقف: هل عندكم مدارس فى باريس؟ وعربات الترام أيضا؟ وأتوبيسات؟ ولما قلت لهم: إن الناس خارج الاتحاد السوفيتى يعرفون عنه أكثر مما تعرفون أنتم عن العالم الخارجى، فلم هذا؟؟ أجاب أحدهم: أن صحيفة برفادا تزودنا بالمعلومات الكافية، وفجأة صاح طالب آخر مفاخرًا: لكى ندون كل الأشياء والإنجازات العظيمة الرائعة التى تتم فى الاتحاد السوفيتى ليس فى العالم كله ورق يكفى لهذا" ..

إيهام ما بعده إيهام، وتلقين متقن دقيق، إن هذا الإيهام بأنه ليس فى العالم أجمع ما يمكن أن يقارن بالاتحاد السوفيتى، وبما يتم فيه من الإنجازات الهائلة ينتشر عن قصد وعمد وتلقين، ويغذى بدقة متناهية فى جميع مجالات الحياة هناك، فمن المهم لدى الحكام والمسئولين فى الحزب الشيوعى الروسى أن يشعر كل مواطن روسى بالولاء والعرفان للنظام الذى يحميه من أضرار الحياة فى بلاد العالم الأخرى، والمعلومات الخاصة بتلك البلاد نوع من الضرر الخطير يجب حجبها عن الرفيق فى روسيا الشيوعية، ومن هنا تكونت لدى المواطن السوفيتى عقد التعاضم والكبرياء الفارغة التى تجعله يشعر ويعتقد أنه وحده على حق، بل وأميز الناس والشعوب كلها، وعند ما يصبح هذا يقينه فى معتقده يصير لزاما عليه أن يلجأ إلى

العدوان على كل ما لا يتفق معه في هذا المعتقد الباطل، وعلى كل من يختلف عنه في الرأي، وهذا بالضبط ما يريده السادة السوفيت في قصر الكرملين، فما الفرق بين القادة السوفيت والقادة الفاشيستي؟؟ وبناء على هذا المعتقد السوفيتي الفاشيستي كان العدوان على الشعب الأفغاني..

ولكن ليس هذا كل ما في الأمر في الأوطان التي تعيش في ظل النظم الشيوعية الماركسية.. فالرأي الواحد، أو عدم الخروج عن الخط المعين من أهم معوقات المجتمع الشيوعي في الاتحاد السوفيتي، وفي غيره من بلدان العالم الشيوعي، وفي هذا يقول الكاتب الفرنسي "اندرية جيد": "في الاتحاد السوفيتي كل إنسان يعرف مقدما أنه بالنسبة لأي موضوع هناك رأي واحد فقط.. وهذا يجعلني أتساءل: هل هؤلاء هم الذين صنعوا الثورة؟ لا، إنهم المستفيدون من الثورة، ففي كل صباح تلقنهم جريدة الحزب - برافدا - ماذا ينبغي أن يعرفوا.. وكيف يفكرون.. وفيم يعتقدون.. فلا خروج عن الخط، وإلا... وهكذا في كل مرة أتحدث إلى سوفيتي واحد أشعر بأنني أتحدث إلى الشعب السوفيتي بأكمله.. وحتى فيما يسمونه بالنقد الذاتي.. تجد أنه لا يخرج عن التساؤل: هل هذا يتمشى مع الخط أو يختلف عنه؟ أما ما هو الخط نفسه فلا أحد يجرؤ، أو حتى يخطر بباله أن يستفسر عنه، أو يناقشه، أو يذكره مجرد الذكر.."

فالرأي والكلمة والأمر والنهي للحزب الشيوعي السوفيتي في روسيا الشيوعية، والسلطان والملك والعزة للجنة المركزية في كل الشؤون، وفي كل الأحوال، لا يشاركها في ذلك رأي آخر مهما بلغ من الحكمة والمعرفة، ومن النضج والحكمة مع المهارة في أمور السياسة والحزب ﴿مثل الذين كفروا بربهم﴾ أعماهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف ﴿لا يقدرون مما

كسبوا على شيء...﴿ فأمثال هؤلاء لا قيمة لأرائهم وأفكارهم فى نظر الرأى الواحد فى البلاد الشيوعية عامة، وفى الاتحاد السوفيتى بصفة خاصة، فما قبله من آرائهم وضعه فى موضعه، وما رفضه منها كان صاحبه فى خطر الطرد، إن لم يكن فى خطر التصفية الجسدية، وهذا موقف معروف ومألوف فى الاتحاد السوفيتى، وفى أفغانستان فى هذه الأيام، وإن بحثت المسألة فى البلاد الشيوعية الأخرى لوجدت الموقف نفسه سائدا وسائرا على أصحاب الآراء المعارضة إن وجدت، أو سمحت لهم بالوجود..

### قوة كبرى:

نعم، قوة كبرى، وقوة مدمرة.. إن بعد ما قلت ونقلت وهو قليل من كثير.. لا يمكن لأحد من الناس أن ينكروا أن الاتحاد السوفيتى قوة كبرى، قوة مدمرة، قوة هائلة، ألحقت الدمار الخراب والهلاك والهول والرعب بأهل أفغانستان، وبأهل غيرها من الشعوب والبلدان ﴿وجعلوا أعزة أهلها أذلة﴾ ولكن هذا ما لا يعيننا فى هذا المقام، إن الذى يهمنا ويعيننا فى المقام الأول هو الفرق بين الآراء والنظريات والقيم والسلوكيات.. فعلى مجموعة من النظريات، أو حتى بدونها يمكن أن تبنى قوة تعيش وترعب الشعوب، وتدمر البلاد فترة من الزمن قصيرة أو طويلة، ثم تهرم وتموت وتفنى، وكأنها لم تكن شيئا مذكورا، لأن الإنسان واحترام فكره وحرية لم يكن فى حساباتها، أما بالقيم والسلوكيات والخلق القويم فأنت تبنى صرح حضارة قد تنقصها القوة بمعناها المادى المدمر، ولكنها لا تموت أبدا، لأن ومضة الإنسان، ولمسة الإنسان، وقدرته المعنوية، وفكره الجبار، وحرية

فى التفكرى والتعبىر والتصوىر لا تعرف الطرىق إلى الفناء والهلاك.. هذا هو الفرق  
أو الفرقو الفكرىة بىن الآراء والنظرىات وبىن القىم والسلوكىات..

### قانون الشىوعىة:

قوة كبرى، ولكنها كاذبة مخادعة بنت قوتها على الكذب، ومخادعة الشعوب  
والدول، والكذب أمر مشروع فى الشىوعىة والماركسىة، لأنها تنكر شىئا اسمه  
القىم الخلقىة، وترى جازمة أنها لا قىمة لها ما لم تكن خادمة لمصالح الدكتاتورىة  
المستبدة، وقد جاء فى كلام لىنن: ”نحن نخرج على جمىع الأخلاق والآداب التى  
تنفصل عن المجمع البشرى وطبقاته. نحن نرى أنها زىف وتضلىل لعقول الفلاحىن  
والعمال من قبل الملاك، وأصحاب الأموال. نحن نخرج على جمىع الأخلاق  
والآداب بمعنى واحد، وهو المعنى الذى يدىن به البرجوازىون أن يستمدوا الآداب  
والأخلاق من أوامر الإله“..

جاء ذلك فى خطبة إحدىة طويلة ألقاها فى مؤتمر الشباب الشىوعى، وألح  
فىها بإصرار على هذا المعنى الإحدى، وكرر الزرىة والعتاب على البرجوازىن  
الذىن يستمدون مبادئ الأخلاق، وقواعد الآداب من الدين الإلهى..

منذ أكثر من عشرين عاما تقريبا كان فى كابل موظف شىوعى، وقد تمكن  
من الفوز بعضوىة البرلمان من دائرته فى ولاية نسكرهار أيام النظام الملكى البائد فى  
أفغانىستان، وكان يخطب فى اجتماعات الشىوعىن ولقاءاتهم فى كابل ويقول: إن  
فكرة الإله الخالق لىست إلا من رواسب الماضى البعىد.. وعند ما شاهده أحد  
معارفه فى قرىته وهو يؤدى الصلوات الخمس جماعة فى مسجد القرىة، سأله  
قائلا: إنك تنكر وجود الله، فكىف تصلى وتعبده فى المسجد؟ فقال: أقسم بالله

الذى لا وجود له.. إنى أصلى على غير وضوء، نظرا لقرب موعد الانتخابات  
النيابية.. وهذا يتطلب منى ذلك..

ومادام قانون الشيوعية الكاذبة يقرر أن الأخلاق إنما هى لخدمة الماركسية  
الكاذبة، فإن الكذب والخداع ليس جريمة، ولا أمرا غريبا على الشيوعيين  
وعملائهم، ولكن الطريف هو تفننهم فيه، وقدرتهم الفائقة على خلقه،  
واستخدامه وتلفيقه بالأبرياء.. وللشيوعيين فى أفغانستان افتراءات وأكاذيب تفوق  
الخيال..

### النظام الدموى:

قضت المقادير أن يشهد الشعب السوفيتى حياة دامية وإرهابية على يد نظام  
جاء إلى الحكم باسم الطبقة الكادحة، ولكن خاب أمله فيه، إذ فوجئ بما هو أشد  
وأنتكى مما شاهده فى الماضى.. ما كاد لينين أن يجلس على عرش القيصر فى  
روسيا، حتى تبينت نزعتة الشريرة، وظهر تعطشه الشديد للدم المسفوك.. دم  
المسلمين وغير المسلمين.. ففى سنة ١٩١٨ م تعرضت له فتاة من الحزب  
الاشتراكى الثورى، فأطلقت عليه النار، وكان يكفى إعدام الفتاة، لكن لينين وجد  
فى هذا الحادث مبررا للفتك بأعدائه، فتم إعدام خمسمائة شخص من الأشخاص  
البارزين رميا بالرصاص، بغرض التخلص من أبرز أعدائه وخصومه، وإرهاب  
الآخرين منهم..

و لما جاء ستالين كان من همه أن يتخلص من الكثيرين، وأن يهرب الباقين  
على نحو ما فعل لينين، وحدث أن اغتيل حاكم ليننجراد سنة ١٩٣٤م، وكان من  
أقرب أصدقائه، هذا الحادث أطلق رغبة ستالين، فأقام المحاكم والمحاكمات

العسكرية، قدم إليها المئات بتهمة الخيانة الوطنية، بحيث جعلت لرعب يهز كيان الشعب السوفيتي من أعماقه، قتل فيها أكثر من سبعة آلاف شخص ظلما، وبتهم ملفقة.. فقد انفجر سخط ستالين في حركة جنونية كل همها هو إلقاء القبض، والمحاكمة والإعدام والإرهاب..

وفي أفغانستان لم تنتشر الشيوعية لأنها مذهب صالح، ولا لأنها مسلك إنساني، ولا لأن دعائها من ذوى السمعة الطيبة، ولا لأنها قدمت لمن اعتنقوها وعاشوا في ظلها رفاهية لم تتوافر لغيرهم، لا لشيء من ذلك على الإطلاق، ولكن أسباب انتشارها في أفغانستان غير هذه جميعا.. فقد أنفقت الدول الشيوعية وبخاصة الاتحاد السوفيتي والصين الشيوعية، والأحزاب الشيوعية في كل من إيران وباكستان والهند في الدعاية لها أموالا طائلة، ومجهودات ضخمة، ومساعدات هائلة، حتى تمكنت من وضع قدمها في كابل، وبالتدخل السوفيتي المباشر تمكن الشيوعيون الأفغان من الوصول إلى سدة الحكم في كابل..

أقام الشيوعيون في كابل مجازر ومذابح للقضاء على الجماعات الإسلامية والوطنية، لم تكن تعتمد حركة مجازرهم هذه على محاكمات شكلية، ولا على استجوابات صورية، ولا حتى على تهم ملفقة كاذبة، بل كان رجال البوليس والمخابرات الأفغانية يقبضون على الأشخاص الذين تحوم حولهم شبههم الباطلة الكاذبة الواهية، أو على الأصح الذين يرغب الحزب الشيوعي في القضاء عليهم، ثم يرمون بالرصاص، ولا يوجد أحد في أفغانستان كلها يأمن من أن يندق جرس الباب في مسكنه ليلا، ثم يؤخذ في عربة البوليس الرهيبة، فلا يعلم عنه شيء بعد ذلك، وقد التهمت هذه العمليات الإرهابية الوحشية للقتل الجماعي البارزين من الإسلاميين، والوطنيين، ومن رجال الفكر والأدب، والعقليات المفكرة المستنيرة،

وذوى العبقريات والذكاء.. ورجال هذه العمليات الوحشية يتجهون رأساً إلى ذوى الأهمية من أعضاء الحركات الإسلامية والوطنية، والمناصب العالية فى الحكومات السابقة، والأعضاء البارزين فى الحركات الشيوعية نفسها، وذلك بغرض التصفية الجسدية، ويأتى بعد ذلك دور من يعلم عنهم أنهم غير راضين عن سياسة الحكومة الشيوعية فى كابل، وهؤلاء من ضحايا المقادير، فرمى اتهم الشخص من خصم له، أو ممن يرغب فى التقرب إلى الحكام الشيوعيين، فيقبض عليه، ويساق إلى الإعدام، أو إلى السجن الرهيب فى عربة البوليس الرهيبة، من غير أن يطلب منه إثبات براءته. ومن المألوف أخذ الرجل الضحية من مكان عمله، أو من مكتبه، فيمضى به رجال " الخاد " أو الأمن، ثم يعلم أنه أعدم، أو لا يعلم عنه شىء. وقد راح ضحية هذه العمليات اثنا عشر ألفاً من الأفغان البارزين خلال ثلاثة أشهر الأولى من استيلاء الشيوعيين على الحكم فى كابل..

وهكذا تخلص لينين، ثم ستالين فى الاتحاد السوفيتى من أعدائهما، وعلى طريقتهما تخلص الحزب الماركسى الأفغانى عن أعدائه من الإسلاميين، ومن ذوى الفكر المعارضين، ومن خصومه المناوئين، ومن أعضاء الحزب المنافسين..

هذا هو الوجه الحقيقى للاتحاد السوفيتى، وهذا هو الوجه الحقيقى لمن يدور فى فلكه، ويدور معه حيث يدور.. فلا هو أمل المقهورين، ولا هو نصير المظلومين من الشعوب التى اتخذت بالشعارات الزائفة التى نادى بها منذ قيامه سنة ١٩١٧م.

السليمانية - جدة ١٩٨٤م

### ٣٦- أفغانستان صامدة

على الرغم من كل الاحباطات المتناثرة والمتفرقة فى أفغانستان، وعلى الرغم من كل العقبات والعراقيل والصعاب التى يضعها المتشائمون والانهزاميون فى وجه الصحوة الأفغانية، والصيحة الجهادية فى أفغانستان، على الرغم من كل هذا وذلك، فإن فرص الانتصار فى الجهاد الدائر للدفاع عن العقيدة والوطن مازالت تلوح فى الأفق من بين بقايا الدخان الصاعد، وركام الأنقاض المتوهج.. إنه لا يمكن للحمم المدمرة، والقذائف الهاوية، والشظايا المحرقة أن تحطم عزيمة أمة تؤمن بالله، أو تخضع إرادة شعب يدافع عن حريته، وعن حقه فى الوجود، بل إن المحن والخطوب - كما هو معروف - تزيد من صلابة الأسم، وتعيد صياغة الرجال، وصناعة الأشخاص من جديد..

و فى الحق أن الشعب الأفغانى المسلم المؤمن بالله قد تعرض للمحن والمشاق، وتحمل آلاما منهكة مميتة، وأوجاعا كثيرة عنيفة.. يكفى أن هذا الشعب الصامد المكافح المناضل قد عانى من أهوال الفتن والقصف والتدمير والتخريب ما عاناه، ثم عانى من الغزو الشيوعى السافر، ومن عملائه أداة الحرب، ومن الحرب المدمرة نفسها أفضع وأطول مما عانته الشعوب الأخرى أثناء الحرب العالمية الثانية.. وأيا كانت الأسباب والعلل التى مهدت أو تسببت فى صنع الكارثة فوق الأرض الأفغانية، فإنه لولا تلك الأيدي الدنسة والمندسة بين صفوف الشعب الأفغانى، لما كانت الفتنة، ولانطفأت نار الحرب المدمرة منذ زمن بعيد..

إن الحقد والطمع الشيوعي مازال يتأجج في أفغانستان الصامدة، وهو في كل يوم يزداد عنفا وشراسة، كلما تكشف له أن رحلته التي كان يحسبها نزهة سهلة ممتعة في ربوع أفغانستان، قد تحولت إلى مقابر خرساء تلتهم جنوده وعملاءه، وأحلام هؤلاء وهؤلاء جميعا، وظلت أفغانستان المناضلة برغم كل الجراح العميقة صامدة شامخة تتحدى جميع محاولات الإخضاع والتذليل، والتفتيت والإغارة والتشريد..

ولا ريب في أن أى مسلم عاقل مخلص يهمله أمر الإسلام والمسلمين في أفغانستان يدرك ما يمكن أن يفعله العدو الشيوعي المتمركز في ربوع أفغانستان حينما يغيب العقل وتسيطر السطوة، ويموت الأمن، ويهرب الحوار، وتعربد المدافع، وتنفجر الألغام، وتمطر القذائف، وتتوهج الأنقاض، ويصعد الدخان، وتشتد المعاناة، فالعدو الآن يتحرك بحرية في البلاد، ويحرك ذبوله من الهالكين، ويقوم بحركات مريبة داخل الحدود المرسومة وخارجها، لإلحاق مزيد من المعاناة والآلام، ومن البؤس والشقاء بالأفغانى المقيم والهاجر.. وبالمناضل والمقاتل سواء بسواء..

إن الشعب الأفغانى يدرك ولاشك أنه هو المسئول الأول فيما لو - لا قدر الله - استمرت الحرب، وعادت الأزمة تهز كيانه النهوك بعنف أشد تأثيرا، وأعمق ألما وفزعا، كما أنه المسئول الوحيد لحل أزمتة والخروج من مشكلاته، وهنا نتوقف قليلا لنقول في تساؤل: هل تحملت الدول الإسلامية مسئولياتها الأخوية كاملة تجاه أفغانستان الصامدة؟.. الأحداث كلها تشير بوضوح إلى غياب إسلامى

ملحوظ من الحضور لفعال المؤثر في الساحة الأفغانية، وقد أدى ذلك إلى نكسات مريرة مازالت تذكرنا بالجمهوريات الإسلامية التي احتلتها روسيا في الماضي القريب، وهي كذلك مازالت تذكرنا بهجرة المسلمين الأرائل قهرا عن ساحة البلاد بحثا عن الطمأنينة للدين والعقيدة، وللأطفال والشيخ والنساء..

لسنا في الحقيقة بصدد محاسبة الأنظمة الإسلامية المتعاسة، فهذا ما لا نملكه ولا نريده، وإنما نشر فقط إلى حقيقة ثابتة أكدتها وسائل الإعلام المختلفة بأن القضية الأفغانية باقية بمفردها في المجالين العسكري والسياسي معا..

نعود فنؤكد أن هناك عدة أطراف من أشرسها وحشية، وأكثرها همجية، العدو الشيوعي يههما أن تظل أفغانستان منتكسة ممزقة منهوكة إن لم يكن من أجل تحطيمها والقضاء عليها فمن أجل تحطيم الكيان الإسلامي فيها، وجرها إلى المعسكر الشيوعي الذي لا يمكن أن يعيش إلا بامتصاص دماء الشعوب..

ونؤكد كذلك أن الرؤية الأفغانية مهما اعتلاها من ضبابية اليأس والفشل، وتفجر بقايا الألغام، بدأت تتضح ملامحها القومية والسياسية بصورة أقوى، وبشكل أنصح في ظل التغييرات الجهادية الحالية، وكذلك في ظل المتغيرات السياسية مما يبشر بعودة أفغانستان إلى كامل بهائها ونضارتها وأمنها وسلامة أراضيها بصمودها الإسلامي والقومي والوطني، ومن ثم فلامشاحة في ضرورة الدعم الإسلامي.. في المجالين السياسي والعسكري لكل الجهود القتالية والجهادية الخيرة التي بدأت تنمو على أرض أفغانستان الصامدة السماء، لأن الجهاد المستقل

الآن فى ربوع البلاد الأفغانفة ضد العدو الشفوعى المتربص، بعد علامة نصر، ومصدر اعتزاز لفس للمناضلفن الأفغان وهدفهم، بل لجمعف المسلمفن فى جمعف أنحاء العالم، وهو كذلك مصدر اعتزاز لجمعف الأحرار والمناضلفن فى جمعف أنحاء العالم أفضا.. إن أفغانفستان الشماء صامدة فى وجه العدو بفارادتها الإسلامفة الحرة رغم كل العراقفل التى بضعها المتشائمون فى طرفق صفحته الفهادفة وصحوتها الأفغانفة.. ورغم كل المحن والآلام، وتحمل المشاق والأوجاع.

شارع دار بن الأرقم - حى الجامعة فى جدة

فوم السبت ٢٨/١١/١٤٠٤هـ = ٣/٦/١٣٦٣هـ ش = ٢٥/٨/١٩٨٤م

أرسل الرفيق التعس بصره متأملا الرجل السعيد المؤمن، وأخذ يتفحصه فى فضول عجيب، وفى دهشة عظيمة، وهو يسأل رفيقه المنافق فى غطرسة كاذبة، وكبرياء فارغة.. هل جئت لى بقميص السعادة والوقاية والهناء من موسكو؟!

تلثم رسول الرفيق، وبدت الحيرة المرتجفة، والخوف الرهيب على ملامح وجهه الأصفر، وكاد أن يغمى عليه لولا أن الرجل السعيد المؤمن المائل الواقف أمام الرئيس الرفيق أنقذه من هذه الورطة الصعبة، والموقف الحرج طالبا من سيادته أن يسمح له بالتحدث والكلام. رمقه الرفيق الأوحى بنظرة تجسدت فيها شراسة الشيوعية الصادقة، وغطرسة القوة الكاذبة وإيقاع الجبروت الطاغى، ونزعة التحدى صائحا:

ماذا تريد أن تقوله أيها الرجل؟!

فى صوت هادئ يقطر إيمانا وحنانا ورقة وشجاعة وثقة قال الرجل السعيد المؤمن:

فخامة الرئيس الرفيق: إن سر السعادة الصادقة أبسط وأسهل بكثير من أن تستطيع أن تصدقه، سر السعادة والوقاية لا يكمن فى استجلاب القمصان من موسكو، إن السعادة الحقيقية تتلخص فى إطاعة القوانين الإلهية التى يأمرنا الله بتطبيقها وتنفيذها قولاً وعملاً، ولو أننا أطعنا هذه القوانين السماوية بدلا من القوانين المستوردة ما شعرنا بالسعادة والطمأنينة فحسب، وإنما لامتلأنا بالابتهاج والسرور الأبدى، ولأننا نعتدى دائما على القوانين الإلهية ونستورد قوانين غير إلهية فمن المحال، بل من المستحيل أن نشعر بالسعادة والوقاية.. فخامة الرئيس.. فخامة

الرفيق.. لا تغضب منى إذا قلت لك: إننا جميعا رفاقا وأصدقاء نرتكب الحماقات والآثام والخطايا، ونصم آذاننا عن الصوت الرائع الذى ينعكس صداه بداخلنا وفى أعماقنا.. ومن هنا تصيبنا التعاسة والانتكاسة، وينخر فى عقولنا وقلوبنا ميكروب الشقاء، وجرثومة التعاسة..

يصمت الرجل السعيد المؤمن وعينه تخترقان أعماق الرئيس الرفيق، ثم يعاود كلماته بثقة وإيمان:

أيها الرفيق الشفيق، والرئيس الملهم.. قد تضعنى فى غياهب السجن مع آلاف من أمثالى، أو تقتلنى بحد السيف مثل غيرى من السعداء بالإيمان، وعندما يكون قلبك رحيمًا بعيدًا عن القسوة الشيوعية الدامية، فقد تأمر بطردى من بلادى، فأهيم على وجهى باحثًا عن المأوى والملجأ فى غير بلادى، إذا تجرأت عليكم بإلقاء هذا السؤال، وتوجيهه إليكم:

ألم يرقم أحد بالوشاية عندك على أحد.. وأطعت هذه الوشاية.. وأصابه الظلم؟! ثم ندمت على هذا الظلم الصريح الذى وقع منك بسبب هذه الوشاية الكاذبة؟! هل حكمت بالعدل، وطبقت قوانين الدولة على كبار القوم من الشيوعيين والأذئاب كما يطبقها هؤلاء الكبار على صغار الدولة، وفقرائها، وبسطائها، وشرفائها؟

فتماوجت ذكريات السنين السيئة على سحنة الرئيس الرفيق، ثم قال فى صوت خافت كأنه يطرد من ضميره القاسى سقطات الماضى الذى كان فيه داعيًا إلى الشيوعية، وقد ارتكب أثناء ذلك ما لا يحصى من الحماقات والذنوب والآثام، ومن الظلم والاعتداء والسيئات..

ولكن أيها الرجل أنا لست ملاكا، ولا أدعى ذلك أبدا.

لقد فضل الله خليفته من البشر على ملائكته لأنه يسكن فى ضمائرهم وقلوبهم.. ولكن لا أحد يسمع، ولا يرى، ولا يحس، ولا يشعر.. صدقتى أيها الرفيق الشفيق.. أيها الرئيس إن السعادة الخالدة لا تتبع إلا من داخل الإنسان، ومن أعماق ذلك الإنسان الذى لا يعتدى على قوانين الله، ولا يعتدى على نوااميس الإنسانية. قالوا لك يا سعادة الرئيس والرفيق الشفيق: إننى دائماً مبتهيج سعيد... فهل تعلم لماذا أنا كذلك؟ لأننى أحترم قوانين الله، ونوااميس الإنسان المسلم.. وغير المسلم.. فلا أكذب أبدا.. ولا أغش أحدا.. ولا أسرق شيئا.. ولا أرشى.. ولا أطعن أحدا فى ظهره.. ولا أرشى.. ولا أنافق.. ولا أتعالى.. فقط أرعى أغنامى.. أحلب لبنها، وأبيعه لكسب رزق حلال، فلا أرفع سعره، ولا أخلط به ماء.. أقص صوف أغنامى وشعر معيزى. وأغزله ليستر جسدى وأجساد الناس إخوانى ويقيها من البرد.. وأرقص على أنغام الناي بين الربوع والأودية سعيدا مبتهجا بلا خوف ولا وجل. أما أغنامى ومعيزى فمصدر رزقى، ورزق أولادى، فإذا وجدت بينها مريضة عاجلتها، وإذا وجدت فيها جائعة أطعمتها. وإذا وجدت واحدة منها استشعرت البرد، وخافت إيذاءه أدفأتها على الفور، وإذا كانت هناك واحدة أصابها الجرب، وأصبحت خطرا على قطعان أغنامى ومعيزى، وفشلت فى علاجها عزلتها فى مغارة تحت رعايتى حتى تموت فى هدوء، ثم أعود لأدونها بمعرفتى. هذا هو قميصى، ورداء سعادتى الذى يبطن داخلى، وهذا هو سر ابتهاجى وسرورى الدائم.

خطا الرئيس الرفيق خطوات ثقيلة بينما كانت كلمات الراعى السعيد المؤمن تحرك أعماق روحه، ومكان من نفسه العميقة، وفجأة التفت إليه قائلا: أقبل على

أيها الراعى السعيد، وتعال، انظر معى من خلال هذه الشرفة المطلة على المناظر والمشاهد الجميلة.. لقد أرحنتى بكلماتك الجميلة المؤثرة..

اقترب الراعى من الرفيق الشفيق، وأشار بيده إلى الجبل، والبحيرة، والأشجار، والحديقة التى تحيط بالقصر الجمهورى الذى كان قصرا ملكيا عظيما فيما مضى من الأيام الخوالى، قائلا: ما أروع هذا الجمال الرائع الأخاذ الذى يحيط بهذا القصر الذى تعيش فيه كما يحيط بكوخى المتواضع الذى أعيش فيه فى أحضان الجبل.. لقد منحنا الله جميعا بلا مقابل.. الشمس، والهواء، والحب والود.. وكيف يمكننا أن نصبح بكل ذلك سعداء مبتهجين مسرورين فرحين... كل ذلك بفضل من الله، وبرحمة منه.

ابتسم الرفيق الشفيق قائلا: المهم فى كل ذلك كلمة " كيف " التى استعملتها فى مكانها المناسب أيها الراعى!

أجاب الراعى المؤمن فى صوت يسيل حكمة: إن السعادة كالعطر الذكى الطيب، إذا صببته على الآخرين.. لا بد أن ترتد إليك رائحته الذكية، وامتلات بطبيها وإنعاشها.

ارتسمت بسمة النور المشرق على ثغر الرئيس المبجل، وربت على كتف الراعى السعيد مقهقها فى سعادة وابتهاج نادرين: ما أروعك أيها الراعى الحكيم.. وما أسعدك بقناعتك، وتواضعك، وعملك! فى شبابى علمونى أن القوة الشيوعية حماية وأمان، وأن القهر الشيوعى حصن حصين للحاكم والرئيس، وأن التآمر ضد الوطن وأهله ضرورة للأمن، وأن الطغيان حفظ للسلام، وأن الاستبداد ديمقراطية، وأن الظلم والعدوان عدل وإنصاف، وأن الرجل الأخلاقى يستر أبشع

الشرور، وأسوأ السلوك فى أعماقه، يتظاهر بالخلق القويم وهو أسوأ الناس أخلاقاً وسلوكاً ومعاملة.

فى صوت حزين يسيل حسماً وحناناً وشفقة وإيماناً قال الراعى الأفغانى المؤمن القوى: خدعوك يا رفيقى الشقيق، والرئيس المبجل.. وإذا لم تصدقنى.. عد إلى كتب التاريخ، وسير الحكام، ووقائع الملوك والرؤساء، وأحداث الولاية والمسئولين.

زاد وجه الرئيس المبجل بشاشة، وهو يداعب الراعى القوى بالإيمان قائلاً: هل أستسمحك أيها الراعى السعيد، والصديق القويم أن تهدبنى بقميص مغزول من صوف أغنامك، وأن تعطينى فرشاً مغزولاً من شعر معيزك؟!  
أمرك أيها الرئيس...!

فى مدينة جدة - ١٣/١٢/١٤٠٤هـ = ٨/٩/١٩٨٤م

## ٣٨- في قريننا كتاب

إننى أشعر بشيء كأنه الواجب، يدفعنى دفعا قويا إلى الكتابة عن الحيوان المفترس.. عن هذا الدب الخبيث..

هذا الدب الماكر بن الدب الخبيث يقف فى مقدمة الدبيب المفترسة جدا، والخبيثة جدا فى استغلال الحرية، وسلبها عن الشعوب الإسلامية المخدوعة بأساليبها الخبيثة، وبألاعيبها الماكرة، يثور فى الوقت الذى يعجبه، ويذهب إلى المكان الذى يريد سلب حرية صاحبه، وينام على عتبة الباب الذى يريد خداع من يجلس وراءه، فهو بالتالى من أشد المعجبين بلعبة الحرية التى يسرف فى استغلالها حتى العظم، ولا شيء بعد العظم.

هذا الدب الخبيث قام بدور البطولة فى إحدى القصص البطولية.. قال لى مرة: إنه قد حفظ حرية الشعوب حتى غلبه الأرق والإرهاق، فقد طرده الأرق من الدار إلى خارج البلاد، ليستقر به المقام فى بلد مجاور للدفاع عن حرته، ولكن الأرق يلاحقه هناك، ولا يدع له فرصة النوم، والراحة، فقام بتوزيع أعوانه من الدبيب على المدن والأقاليم، حتى وقفت جماعة الدبيب على الحدود الفاصلة للديار المجاورة.. الديار الإسلامية..

وكان الأرق يلاحق الدبيب فى كل مكان فى المدن والأقاليم، وفى الحدود الفاصلة للديار المجاورة، وبدأت الدبيب تنبح كالكلاب المسعورة، واستمرت فى النباح أكثر إزعاجا، وبدأ الأرق والإرهاق يلجأ إلى استعمال العنف، والشدة إلى درجة الاستنزاف، ولم تقدر على مواجهة المتاعب، والتورط المخيف، وبدأت تمتلىء

بالندم، والندامة، وبالفضل الفظيع، لأن الفضل يذهب بالفاشل إلى حظيرة اليأس، فلا بد أن يتحمل الأذية، ومسئولية إحياء الفاشلين، وقد امتلأت المدن والأقاليم بطواير الفاشلين. إنها واحدة من المشاكل والمتاعب التي تواجهها الدبيب، وعلى رأسها الدب الخبيث الماكر المخادع، وعند ما طال مكثه وانتظاره فى تلك الأحوال والأهوال، قال الدب المنافق المخادع: إنى أشعر بالأوجاع والآلام الشديدة إلى درجة كبيرة من الخطورة بحيث لا أستطيع أن أنام، ولا أذوق الزاد والطعام، وبسبب ذلك أسهر الليالى الطويلة، وبسبب ذلك لا أذوق الزاد من الطعام والماء.. ومن هنا نراه يعيش بين الموت والحياة، والموت إليه أقرب.. يحاول عبثاً أن يعود إلى قواعده سالماً، ولكن أين تلك العردة السالمة التى يحلم بها؟ أما المنافقون من رفاق السوء فإنهم يزودونه بوقود النفاق فى كل الآفاق، حيث لا يجيدون استعمال سيوف الصدق والإخلاص، لأنها سلاح المواجهة الصادقة، وهم أبعد ما يكون عن هذا الميدان. ومن طبيعة المنافق أنه يكون جباناً، لا يملك القدرة على الإقدام.. حتى مجرد التفكير فى الاقتحام.. ومصيبة هؤلاء المنافقين أنهم لا يرجون الله وقارا، فيعصونه بأنواع من الذنوب فى القول والعمل، ويستصغرون عواقب هذه الذنوب، ولا يقدرّون خطورة هذه الأمور، وفى غيهم يعمهون، وعلى باطلهم يصرون، وقد فقدوا القدرة على مجابهة الصدق فى القول، ومجابهة الحقيقة فى العمل.

منى - مكة المكرمة

الخميس ١٨/١٢/١٤٠٤هـ = ١٣/٩/١٩٨٤م

### ٣٩- من منى

الوحدة تكاد تفتك بى وتقتلنى، والملل يحاصرني ويعصرني، أشعر شعورا قويا  
بأننى أسير وأهيم فى صحراء جرداء قاحلة، باحثا عن الماء الذى هو فى الحقيقة  
وواقع الأمر سراب خادع لا وجود له أصلا، أشعر شعورا غريبا بأن سباع الأرض  
المفترسة، وطيور السماء الجارحة تطاردنى من مكان إلى مكان، أصرخ بأعلى  
صوتى وبأقصى قوتى للاستغاثة، والإنقاذ، والنجاة، ولكن لا أجد من يبينى..  
ومن يغيثنى، ومن ينقذنى من ذلك المأزق الذى وقعت فيه، ومن تلك الورطة التى  
سقطت فيها..

أرجوك، أرجوك أنقذنى، ولا تذبح أحلامى، ونجنى، ولا تقتل آمالى.

منى - مكة المكرمة

يوم الأحد ٢١/١٢/١٤٠٤هـ = ١٦/٩/١٩٨٤م

## ١٠- الطائر الأسير

عليك الاتكال والتكلان يا رب، وبك الرجاء والأمل يا الله.. من رحمتك نستمد قوانا، وبرحمتك تتجدد مرثياتنا داخل كيائنا الضعيف لهذه الحياة فى هذه الجبال المقدسة من أرض منى الحافلة بالجسور والتلال، وبالمرتفعات والطرق المعبدة للعباد من ضيوف الرحمن. إن قبولك لدعوات عبادك المفتوحة هو المغنم الوحيد والسعادة الغامرة فى قلوب المؤمنين فى أودية منى الطاهرة بعد رحيل أفواج الضيوف الربانية الغفيرة الهادرة.

و لو لا الأمل فىك يا رب لما صمد ضعف عبدك الضعيف أمام أعاصير الحياة، ووحشتها المرعبة بين هذه الشياطين الصائمة التى تحاصرها جبال منى على يمين المتجه إلى مكة المكرمة وشماله، ولولا الأمل فىك لما صمد ضعف عبدك الضعيف أمام نوائب الغربة والوحشة القاتلة بين هؤلاء النفر من الحراس والعمال فى هذا المكان، فعبدك فى سكة الحياة متى وقفت المصاعب والمتاعب أمامه، واعترضت أشرعة رحلته فى بحر الدنيا العريض فى أودية منى المقدسة - لاذ إليك مستغيثا، وفر إليك سائلا، راجيا لكى يشمله عطفك وغفرانك، ولكى تفرغ عليه من رحمتك الواسعة.. من الصبر والسلوان بين الوديان المقدسة، والعمال المكذسين بين المكائس بالملابس الصفراء كأنها احترقت بأشعة الشمس المحرقة.. أنت الحامى يا رب.. ربى ورب هؤلاء جميعا.

هذه الدنيا بكل ما فيها من ابتسامات تظلل فى علاقة الإنسان بأخيه الإنسان كالصحراء القاحلة، ذلك لأن الإنسان فى ساعة المحنة قد لا يجد من يقف معه فى محنته حتى أقرب الأقربين إليه، بل وحتى الصديق الذى قدمت له كل ما تملك من

وفاء وإعزاز وإخلاص، قد لا تجده وقت الحاجة التي تستوجب وقوفه معك، حتى كادت الحكمة التي تقول: "الصديق فى وقت الضيق" حاوية من كل محتواها الإنسانى فى هذا الزمن المادى الذى يتميز بالأنانية، وحب الذات غالبا.

إن مثل هذا الدرس الصعب قد يخرج منه كل صاحب تجربة، وصاحب حاجة من حيث لا يدري بعد أن يمن الله عليه بالفرج، ولكن بالرغم من ذلك فهناك الذين تمنعهم ضمائرهم من مبادلة هذه السليبات فى علاقاتهم بالآخرين، لأن أعماقهم بحار صافية ترتفع فيها المبادرات النبيلة، وتنمو لتكون حصنا لكل مستجير حتى أنهم ينسون بدافع من إنسانيتهم عقوق من تنكر لهم بالأمس فى وقت الشدة والضيق، ووقف منهم موقف المتفرج الضعيف، أو الشامت المتردد فى اتخاذ موقف بالمؤازرة لصاحب الحاجة!

وأيام الدنيا دروس وعبر لا تنتهى، وحصص متصلة، وامتحانات الدنيا بخيرها وشرها يومية، ولا تعرف بالمواسم، وهى كتب مفتوحة للجميع، وعلينا أن نقرأها، ونتدبر معانيها، لأنها صفحات مفتوحة لكل الأعمار، وقد نخطئ كثيرا عندما تضع لمذاكرة صفحات الدنيا مواعيد ومواقيت وفصولا، وهنا فقط تسقط من ذاكرة الأغبياء دروس الحياة، وينجح فيها من يضعونها نصب أعينهم باستمرار ليتجسد الفرق بين من يذاكر فى حدود نفسه ولنفسه فقط، وبين من يذاكر دروسها ليكون عطاؤها لكل الناس.

والحمة القاسية فى أفغانستان المجاهدة قد غيرت الموازين الخاصة بالصدقة والإخلاص، وبالأخوة والمحبة والوفاء.

منى - مكة المكرمة - ١٤٠٤/١٢/٢٥ هـ = ٢٠٠٩/٩/١٩ م

## الك- وياغ الأحاب

إلهى:

فى حالتى هذه بدأ عقد الأحباب والخلان والأوداد والأعزاء ينفرد انفرطاً،  
وينفصم انفصاماً، وأزهار بساتين الحب فى وطنى وقومى تذبل ذبلانا خطيراً،  
وحدايق الورد والريحان تذهب نضارتها ذهاباً، ويجف ماؤها جفافاً، زهرة تلو  
زهرة، وردة بعد وردة، ريحانة عقب ريحانة، لؤلؤة تتبعها لؤلؤة، رحيل وراء  
رحيل، سكون مخيف يخيم على أوتار القلوب، وعلى منازل الأبرار فى الريف  
والقرى والمدن، إن الرحيل المر، والليل الكئيب يلف الأحباب والخلان والأعزاء من  
الأهل برداء الصمت واليأس والبؤس والحرمات، وحالة من الرهبة والرعب  
والإرهاب تسيطر على القلوب الملتهبة المفعمة بمزيج من الأمل والحرمات، كما  
تسيطر على الأعصاب المتناوعة المضطربة بأخطار الرحيل المجهول، رياح الحزن  
القاتلة الساخرة القاسية بعثرت خيام قلبى وقومى فى الحضر والمدن، وفى المدائن  
والقيافى، وشتت أوتار فكرى وعقلى الحزين، والهدوء مع الصمت الرهيب يرعبان  
أشجار الحزن، وأشجان القلب، ونخب الأطفال مع نخب الطيور والقلوب يعذبان  
كل شىء فى تلك الخيام.. خيام البائسين، ويذيان الأحباب والخلان والعشاق من  
الجانبيين..

أسمع لطيف خيالى ألحان ناي حزين فى ليالى الصمت الدفين، وفى أيام الحزن  
العميق.. نعم، تلك هى مواويل الحب الجميل، والرحيل المر، نعم، تلك هى أغانى  
السفر الأليم، والفراق الحزين، الكل مسافر، الكل راحل، الكل فى فراق، حتى  
الطيور الجميلة والمغرودة تهجر هجرة الخلود، والمسافات طويلة قصيرة، شاقة

سهلة، إنه أشرفت شمس الرحيل فى سماء القلوب المنتهبة، وفى سماء البلاد المضطربة، بلاد الأهل والخلان، وبلاد الأحبة والأصدقاء، وقد دقت نواميس الفراق، وأجراس الرحيل، واستيقظت قوافل الهجرة فى مراع الخلان، وفى ربوع البلاد..

هذا الحزن الآتى من الاستبداد الشديد، ومن الطغيان العاصى، ومن الظلم العاتى عبر آهات الزمن، وعبر آهات التشرد الأبله القاسى فى ليالى الغربة القاسية على أوتار عازف بائس مشحن بجراح الفرقة العميقة، ممزوجة بجراح الآلام والمآسى، هذه الآهات الثاخنة من الحزن والألم الشديد تكون أنشودة الهجرة المقدسة، وقصيدة الرحيل المر القاسى، ونشيد الوداع الحزين الآسى..

إلهى: نجمة لامعة ناضرة زاهرة تأفل تلو نجمة لامعة مثلها، أو أكثر منها لمعانا ونضارة، ورقة ذهبية ثمينة تسقط كل حين تلو ورقة ذهبية أثن وأنفس منها، ونهار طويل ثقيل من اليأس والأسى يمضى ويمر تلو نهار من البؤس، والفرقة، والفاقة، وزمان من الآمال والأمانى يمر ثقيلًا كهيما وراء زمان من اليأس والقلق والاضطراب والوخزات، وهذه أصوات من أبناء العشاق المتصدعين المجزوعين، وتلك أصوات من أبناء الشهداء والمهاجرين تنادى من قريب ومن بعيد، وهذا أنين المصابين فى الفراق والقتال ممزوجًا بأنين الرياح العاتية يزجر من بعيد ومن قريب، وهذه مرافىء الذكريات فى المهدي والموطن المهجور تلوح فى الأفق القريب والبعيد، وهذه شواطئ الأمس البعيد والقريب تتضح من بعيد ومن قريب. هاهى مراكب الحزن الأسود الدامس أرخت مراسيها على خيام الحزن والفراق لتأتى بشهيد أو مصاب جديد من وراء تلك القمم التى يتصعد خلفها دخان أسود كثيف، لتبدأ

بذلك قصة جديدة.. قصة الرحيل يبطل جديد.. حتى تنتهى فصول مسرحية السفر البعيد، ويسدل الستار، وينفض الجميع بيعث جديد أو يموت جديد..  
خفيف خفيف من الهمس الحزين ينتشر بدفق فياض، ويمتزج مع هدأة الأحلام، ويعانق دروب الخطوات التى أصبحت أوهاما لطول الانتظار والترقب، وكالعادة بدأت قصة جديدة بشهيد جديد، أو بفراق ورحيل جديد من نوع خاص ذى حساسية خاصة، لحظتها بترت مفاصل الكلمات، وتقطعت العبارات، وفقدت مبعثرة كركام حامية تشر هنا وهناك فى مسافات بعيدة من الفواصل الحزينة داخل أوتار القلوب الحزينة، حتى أن لغة الكلام قد جفت ينابيعها، وأجذبت مصادرها، وفقدت العيون الدامية لغة الأجنان الباكية، وصمتت القلوب الحزينة، وسيطرت على الجميع حالة من الصمت اللامحدود التى اكتسحت مسافات القلوب الحائرة، والمشاعر القلقة، والحواس المضطربة، والأعصاب المشدودة جميعا، وبدأت قصة الوداع مع راحل أو شهيد جديدين من نوع جديد..  
لأنه شهيد الفراق، راحل إلى الآفاق، حماه الله ورعاه، إنه بطل من الأبطال، وحيب من الأحباب، وقطعة من الأكباد.. صغير ولكنه كبير، رحل من هنا من قربي وجوارى واختفى من أمام عيونى الرقاقة بالدموع والدماء..

وحيب آخر من الأحباب، وبطل آخر من الأبطال، ولنكه فى الوطن، وليس فى الغربة القاتلة، وشهيد جديد من الشهداء - رحمهم الله - مطعون بالرمح الخائنة، وأقسى الأشياء على الإنسان أن يطعن من خلفه، عنده تكون آثار الأيدي الملوثة بغدر الخونة أشد وقعا عليه من أى ضربة فى مسافات قلبه المجروح، وفى مسافات جسده الجريح، ليس من المهم فى شىء مدى عمق الجرح القاتل، بل المهم طريقة الوصول إلى كيفية اغتياله، واغتيال سعادة الاستشهاد فى أحضانه،

فقد ضاقت حدود الأرض الأفغانية عليه، كما ضاقت على شهيد الرحيل والفرار الأرض العربية، وصغر حجمها عليه وتحت رجليه عند ما طعنوه من خلفه، فقد طعن من رفاق السوء الأعداء في المهدي والموطن، باعوا ضمائرهم للشيطان بأرخص الأثمان، إن النفوس التافهة والحقيمة نراها دائما ضعيفة أمام المصالح الشخصية الحقيمة، فتتحطم في خضم ذلك أوامر العقيدة المشتركة، وأوامر الأخوة الدموية، وشهدنا لم يكن يدرك ما طرأ على رفاق الدرب من التغيير المفاجئ السريع في المواقف والنيات، إلا في اللحظات الأخيرة الحاسمة من استشهاده وحياته، فدافع عن نفسه ببسالة نادرة، وقتل من الرفاق في اللحظات الأخيرة من استشهاده عددا إلا أن يد الغدر والخيانة من الرفاق اغتالته، وطعته من خلفه فسقط شهيدا على أرض البطولة والبسالة، وحمل جثمانه شهيدا إلى معسكر الخيام على ظهر بغل من البغال الجبلية. وانتهت قصة شهيد لتبدأ قصة شهيد آخر.. نجمة لامعة تأفل تلو نجمة لامعة في الوطن والمهد، وفي الغربية والتشرد، وتكرر أنشودة الهجرة المقدسة، وتكرر قصة قوافل الرحيل، ويتكرر نشيد الوداع الحزين داخل ظلام تلك الخيام، وعند مطارات تلك البلاد، وينفرط عقد الأحباب والخلان انفراطا، ربحانة تتركني حزينا، وأخرى تتركني باكيا، فأصبح البكاء والحزن من عادتي وديدني لا يفارقاني أبدا، رحل الأحباب، وتركوني فريسة للظنون والهموم والأحزان، وأصبحت حياتي من بعدهم حجيما لا يطاق، وأصبحت هذه الديار بكل أنوارها وزخارفها تبدو موحشة مقفرة، وانقطعت صلاتي وروابطي بالآخرين، وأصبحت أعيش في وحدة قاسية ملؤها الكتابة والحزن..

الاقى من عذابك ما ألقى ❁ وحبك في حنايا القلب باق

وشوقى إليكم أبدا يشتد أواره، وتشتد جذوة ناره فى لحظة الفراق بين  
الأحبة، والأصل فى مثل هذه الأحوال والأهوال أن نشتاق، وتقصف بنا أشواقنا  
إذا ابتعدنا، والشوق هو الذى يثير المشاعر فى الأعماق، وتؤجج العواطف  
والأحاسيس فى العشاق وفى غير العشاق..

بلى إني مشتاق وعندى لوعة ❀ ولكن مثلى لا يذاع له سر  
أدعو الله من كل قلبى، وفى صمت عاجز حزين، وبكل إخلاص أن يحفظكم  
بعظيم رعايته وعنايته وحمايته، وأن يفرق الشهداء منكم بعظيم رحمته ومنتته، وأن  
يحفظ لنا وطننا العزيز، ومأوانا الغالى من عبث العابثين، وانشقاق المنشقين، ومن  
انهيار المنهارين.

شارع دار بن الأرقم - حى الجامعة - جدة

الجمعة: ١٤٠٥/١/٩ هـ = ١٣٦٣/٧/١٣ هـ ش = ١٩٨٤/١٠/٥ م

إليك :

إليك يا من أحبك حبا ما بعده حب، إليك وحدك أسطر أشواقى، وأعبر عن  
 آمالى، وإليك أيها الحبيب الغالى، وإليك أيتها الحبيبة الغالية.. أيتها الرفيقة الصادقة،  
 أيتها الرفيقة الصامدة، إليكما أتوجه بكل إحساسى وشعورى وطيفى الذى يحمل  
 إليكما أشواقى، عشت معك يا عزيزى الغالى هذه المدة، وعشت معك يا عزيزتى  
 الغالية طوال هذه السنوات أحلى وأجمل العمر، صارحتك فى كل شىء،  
 وأخلصت لك كل الإخلاص، أنتما يا من أحببتكما بدون رجاء، أنتما يا من  
 وهبتكما كل تنفس من حياتى، وكل لحظة من عمرى، إليكما أكتب كلماتى من  
 أعماق قلبى للتعبير عن حبى وودى وتقديرى..

و أنت يا أملى الوحيد ستظلين كما أنت غالية صافية، كما أحببتك حبا  
 صافيا، حبا نقيا، ستظلين كما أنت نقية رائعة فى فؤادى، وداخل كيانى، إن حبك  
 وحده لاشىء غيره، يسير فى دمى، ويسرى فى وجودى، أحمل إليك أجمل  
 ذكرياتى فى أجمل أيامى، لن أبخل عليك بأى عطاء من الحب وذكرياته، ومن الود  
 وأشواقه، ومن الوفاء وآثاره، ولن يجف أبدا بحر حنانى، لن تغيبى يا من أحببتك  
 عن مخيلتى مهما باعدت الأيام بيننا، فإن رحلت عن عينيّ فلن ترحلى من قلبى  
 المشتاق إليك أبدا والمتاع بحبك الأبدى أزليا، كلانا روح واحدة حلت بأمر  
 الخالق فى قالبين، لن يفارق النصف من النصف، ولن يتنازل الجزء من جزئه،  
 سيكون اسمك الحبيب مخلدا فى قلبى، وفى أعماق فؤادى، يا قلبى ويا فؤادى، يا  
 من صادفتنى الحياة فيك وبك، فكنت أنت أجمل صدفة، وأجمل حياة، وأنبل نفس

روحانية شفافة، لن يحمر فعل الزمان اسمك الحبيب من ذاكرتى، ولن أنساك، وكيف يمكن للمرء أن ينسى ذاته ونفسه أو نصفه، أو كل روحه، لن يضيع حبنا لأنه أبدي، ولن يضيع ودنا لأنه إلهي، وسيسير نهر الحنان إلى الأبد، ولن يصير سرايا لأنه حقيقي وليس خيالا..

حبي لك، ولك وحدك شيء لا أدرك كنهه، ولا أدري حقيقته، حبك يغرق وجداني وكياني مثل شذى السوسن، حبك حبات من اللؤلؤ تتساقط على صدري الجريح، وأنت بعيد عني، أذوب بحبك الذي لا يذوب، ولا ينتهي، يذوب صوتي المذبوح عند مناداتي باسمك الخالد في فؤادي، في لحظة أناجيك، وفي لحظة أناديك، وفي لحظة أعانقك، وفي لحظة أتوسد ذراعي، أرقى، وأهدأ، وأرقد على مشارف الحلم، وأغمض جفوني، وأنام هادئا في الأحضان.. في أحضان الحب والورد، والحنان على شاطئ الوداع، وعلى الخط الضيق الشفاف بين النور والعممة، يرتاد خيالي وطيفي بحورا ساحرة من ترانيم هواك، وحبك اللانهائي. حبك برىء براءة وجهك، حبك صاف صفاء قلبك، إن شوقى إليك يحرك مشاعري بشدة، ويولد الشعور بالطوفان العاطفى فى أعماقى، لماذا رحلت وتركتنى فريسة للأحزان؟..

إليك أقول يا من أحبيتك صادقا، ووددتك وفيا، وودعتك باكيا، إليك وإلى من معك أقول صارخا: أمضيت عمري فى اغتراب، وحنين القلب بات يؤرقنى بعذابه الشديد، وألمه القاسى، ويطالب بإلحاح شديد بوضع النهاية لهذا النوع من الاغتراب، فالعشق عن بعد عذاب يؤرق العاشقين، أنا من أمضى الحياة سهدا وسهرا ويقظة، تاهت بى الأحلام فى دنيا الحب، وفى عالم الود، وفى بحر الحنان، وفى نهر الأشواق، أصبحت عاشق الأحلام، والأوهام لطول الاغتراب، أنا عاشق

الأوهام فى الليل الغريب، أنا لوعة النجوى، يمزقنى الاغتراب تمزيقا. إليك يا من  
أكننت لك ودى، أبوح لك بحبى، إليك أطلب بإلحاح بوضع النهاية لهذه الغربة  
القائلة، وأنا فى انتظار أشد من الجمر، لقد ألفت نفسى فى رداء الآمال الأسود  
مرتقبا غيثا لعله يأتينى من السحاب الأبيض.. إننى قد هويت النجوم النقية نقاوة  
حبى، لأنها ترعى نشوتى التى نشأت فى أرض بائسة يابسة لا تسعد بوصول الماء  
إليها بانتظام، فتكسرت عليها أيامى وآمالى، واشتدت بها أشواقى الملتهبة شوقا  
إليك، وزادت لوعة الحب اشتعالا، وزادت حرقة فؤادى ألما ولهبا، فهل لهذه الحالة  
المؤرقة نهاية بعد البداية؟.. سؤال أرهقه الجواب..

إليك يا من هجرت القلب مرغمة، ورضيت الهجر والفراق للقيام بترية أزاهير  
العمر، إليك أقول يا من جعلت الكون قبرا من حولنا لبناء جنة لأزاهيرنا، لقد  
أمست ذئاب الحزن والاغتراب الطويل تعوى بيننا، وصنعت من هذا الأديم الواسع  
قبورنا، ودفنت فيها قلوبنا حية نابضة خافقة، لا ملامة بيننا يا من كانت عيونك  
الجميلة - وما زالت - زهرتى، وكان قلبك الحنون - وما زال - معينى ومنبع  
حياتى، وكانت ابتسامتك العريضة - وما زالت - ربيع عمرى، وينبوع نشاطى،  
إن الاغتراب قد قتل فى ربيعى، كانت عيونك ترسم الأمل، وتنقش الحب فى  
قلبي، فاعتدى عليه الاغتراب اعتداء، ثم طول الانتظار والترقب تطويلا، وكاد أن  
يموت الحنين من آلامه القاسية، ما عاد يجدى أن أبارز وحدتى فى البعد عنك وعن  
أزاهيرى الناضرة، ما عاد يجدى أن أناجيك، أو أناديك، وأنادى تلك الأزاهير  
المتفتحة فى حديقة قلبى، فالعمر يمضى سريعا، وحريق الشوق يزداد اشتعالا مع  
كل لحظة تمر من عمرى، والأنين مع الحنين يزداد يوما بعد يوم، ولحظة بعد لحظة،

والحزن يهاجمنى بلا رحمة، وبلا هوادة، يمزق أحشائى تمزيقا، يا من هجرت القلب الجريح ماذا تبتغين؟ لماذا تقتلين بعد هذا التعذيب؟..

يا من أحببتك إليك أقدم هذه الصرخة المدوية فى سماء الأرض المقدسة.. إننى غريب بعيد عن الوطن المنكوب المنهوك، معزول عن الأهل والأحباب، وعن الإخوة والأصدقاء، تمتلكنى انسيابات محيرة، وانطباعات غريبة، فأسبح بعيدا عن ذاتى فى عالم الحقيقة، وفى بحار المتناقضات.. ولعنى المشتعلة، ولوعتى المحرقة، وأشواقى الملتهبة، وعواطفى الجياشة، وثرثرتى الجنونية الخنونية، وراحتى النفسية والشخصية، وهلهلتى الروحية والملكوّية، وحبى اللامحدود واللامتناهى، إننى يا من أحببتك بشدة وباندفاع غير محدود، أعيش فى عالم مغلق مفتوح، يكتنفى فيه صمت هائل عميق، مرهف مرهق مخيف، وتسحقنى فيه برودة شديدة صماء، وترهقنى فيه أعباء فادحة مميتة، وتقتلنى رصاصة طائشة فى هذا الاغتراب القاتل، والانتظار الأشد من القتل، كلما تراجعت اقتربت من النهاية، وكلما تقدمت مت قبل أن يحل أجلى المحتوم، فأسرعى يا من أحببتك لإنقاذى، وإنقاذ حياتى التى يداهمها القلق المورق، والملل الدائم، إن حياتى حائرة داخل هيكلى تبحث عن مخرج..

بعد وداعك بالأمس تُطلع فى كل الوجوه الحبيبة فلا أحد فيها وجهك الجميل، فتأخذنى الحسرة لئى تقتلنى كل لحظة.. إننى حائر نائر بين الحسرة القاتلة والوداع الأليم، إننى تائه بين حب الحبيب، والحنين إلى المحبوب، بك وحدك يا أحمد تتحرك كل مشاعرى بهذا الطوفان العاصف، وفى حضرتك يا حبيبى أحمد تعصف بى الأشواق والأشواك، وبعد وداعك بالأمس أحرق فى كل الوجوه بلا

وجه، وأرقص كالمذبوح بلا ساق، وأجرى نحوك بلا قدم، وقد خاطبتك فى التى  
هى أنت، فأنت وهى واحد، تم حله فى هيكلين.. كبير وصغير..  
فى عقلى تدور أفكار حولك وأنت راحل، وفى قلبى تفيض أحاسيس نحوك  
وأنت بعيد، وفى عيونى يلمع بريق من عيونك، وعلى شفتى تنطلق كلمات من  
كلامك دون تنميق أو تلفيق..

إننى ذلك الذى يمضى ليله ساهرا بهمومك، أكتب إليك بين طيات هذه  
الهموم، وتحت زخات مطر الدموع، أكتب إليك على سطح القمر فى الأعلى،  
وتحت الماء فى البحار، أكتب إليك ضاحكا وباكيا، شاكيا وراضيا، أكتب إليك  
فى كل الأمكنة والأزمنة، هكذا أنا لأنى أحبك، لأنى والدك، أبحث فىك عن  
روحى ووطنى، وأحذق فىك باحثا عن ذاتى وكيانى..

رعاك الرحمن راحلا ومقيما، ورعى أهلك ما أقاموا وما رحلوا، وأظلك الله  
بغمام رحمته الواسعة، لك حبى وودى وحنانى.. الوداع.. الوداع.. وإلى اللقاء.

اشتقت إليك فعلمنى ألا أشتاق

علمنى كيف يموت الحب وتنتحر الأشواق

والدك محمد أمان صافى

جدة يوم السبت

١٩٨٤/١٠/٦م = ١٣٦٣/٧/١٤هـ ش = ١٤١٥/١/١٠هـ